الفصل الرابع والعشرون

تخرجت من الجامعة وقد حزت على شهادة البكالوريوس في الجيولوجيا من كلية العلوم، تقدمت للوكالة بطلب وظيفة، وانتظرت الرد على الطلب، بينما كنت أزاول أعمال البناء شريكاً كاملاً لإبراهيم، الذي كان يبذل وقتاً في العمل أقل مما أبذل، لكن في الوقت القليل الذي يبذله ينتج الكثير مما يعادل ما أبذل من جهد، وقد كنت راضياً بشراكته من أعماق نفسي، وليس فقط لأنه ابن عمي وصديق طفولتي وزوج أختي، وليس فقط لأنني أعلم أنه يغيب عن العمل لقيامه بدور وطني ممتاز في الترتيب والتخطيط والدعم للمقاومين، وإنما فوق ذلك كله لأنه كان مخلصاً في عمله إلى أبعد الحدود. فحين يأتي للعمل ينتج في الساعة الواحدة ما أعجز عن إنتاجه في ساعات، خاصة وأنه يقوم بالعمل الفني والصعب الذي يجعل الأمور بعده سهلة عليّ وعلى العمال الذين يعملون معنا.

الوظيفة لم تكن تهمني كثيراً، فإن العمل في مجال البناء كان جيداً، وما أحصله من دخل من ورائه ممتاز، ولكن مشكلته الوحيدة أنه يحتاج إلى جهد بدني أكبر، وصورته أنه عمل من لا يحصلون على شهادات جامعية، ولكن كوني حاصلاً على شهادة البكالوريوس في الجيولوجيا بتقدير جيد جداً، كان يُسهل عليّ هذا الأمر.

عاد أخي حسن من إبعاد مرج الزهور بعد أن قضى فيه حوالي عام، حيث تم الاتفاق على تقسيم المبعدين إلى دفعتين: الأولى تعود بعد حوالي عام، والثانية بعد عامين، وقد كان حسن من المجموعة الأولى وقد استقبلناه في البيت وجاءنا المهنئون والمباركون أفواجاً أفواجاً. وكان الكثيرون منهم من أصدقائه من شباب المسجد الذين كانوا يسلمون عليه بالأيدي سلاماً حاراً ثم يبدأوا باحتضانه، حيث يضم كل واحد منهم الآخر إلى صدره بحرارة بالغة عدة مرات وأطفاله يلعبون حوله طيلة الوقت، وهم في فرحة كبيرة بعودة أبيهم بحبورهم ووجودهم في أذياله، وتزداد سعادته حين يبدأ أحد أصدقائه بملاعبة أحد أولاده.

بعد أيام من عودة حسن حدث اشتباك بين مجموعة من المجاهدين وقوات الاحتلال، في شارع النصر بمدينة غزة، الأمر المهم في ذلك هو استشهاد أحد المجاهدين في ذلك الاشتباك، والأهم أن ذلك المجاهد هو صديق إبراهيم ياسر الذي بدأ معه عمل البناء.

لا أدري كيف أصف مشاعري ومشاعر إبراهيم، ومشاعرنا جميعاً في المخيم، كان خليطاً من الفرح والحزن والرضا والغضب والسعادة، والغم.